# الأهـازيج الشعبية ( دراســـــة في الجذور )

## *Les chansons populaires : Etude des racines.*

**أ. بوشيبـــة بوبكـــر**
**المركز الجامعي لتامنغست**
(*bouchwfboubaker@yahoo.fr*)

مُلخّص البحث

هذا البحث محاولة للتعرف على فنّ الأهازيج الشعبية في منطقة الساورة، لأجل تلمس اهتمامات الإنسان وهمومه في هذه البقعة الجغرافية من الوطن، وكيفية تعبيره عنها من خلال الأهازيج الشعبية التي كان – وما زال- يرددها. وذلك من خلال شرح المصطلح وبيان أصله، واستعراض تاريخ الأهزوجة في التراث العربي بمسمياتها المختلفة، مع التمثيل لمختلف الأشكال الشعرية التي عرفها العرب، مما يمكن إدراجه تحت ما يعرف اليوم بالأهازيج الشعبية.

***Rèsumé***

*Cette recherche est une tentative qui vise à identifer l'art des chansons populaires dans la région de Essaoura et de toucher du doigt les motivations et les préoccupations de l'homme dans ce coin du pays. Elle vise à montrer, aussi, comment à travers ces chansons populaires, l'homme s'exprime et que ces dernières demeurent toujours son mode d'expression.*

*Le chercheur a tenté d'expliquer le terme de chanson populaire en montrant son étymologie, ainsi que de mettre en vue l'historique de ce genre de chansons dans le patrimoine arabe avec les différentes appellations qu'il a subies, par l'illustration de diverses formes poétiques que les Arabes ont connues et qui pourraient aujourd'hui se classer sous l'appellation de chansons populaires.*

تعد الأهازيج الشعبية من أكثر الأنماط الشعرية الملتصقة بالإنسان، المعبرة عن همومه وأشجانه، وأفراحه وابتهاجه. وقد عرف العرب الأهازيج، مثلهم مثل بقية شعوب الأرض، تنوع الأهازيج الشعبية التي مثلت جميع الحالات الإنسانية، بكل تنوعاتها وتقلباتها. فقد عبر العربي عن مشاعر الحب والفرح والغضب والحزن، والسعادة والشكوى، كل ذلك بالأهازيج التي ينظمها ويرددها في المناسبات المختلفة، وظلت تتناقلها الأجيال بعد ذلك، وتضيف إليها من تجاربها وخبرتها ما يغذيها ويدعمها.

وسنحاول في السطور التالية التعرف على فنّ الأهازيج الشعبية، لنتلمس عن قرب هموم واهتمامات الإنسان العربي، وكيف عبر عنها من خلال الأهازيج الشعبية التي كان -وما زال- يرددها.

وقد حاولت في هذه الوريقات شرح مصطلح الأهازيج، وبينت أصلها اللغوي، كما استعرضت تاريخ الأهزوجة في التراث العربي ومسمياتها المختلفة، مع التمثيل لمختلف الأشكال الشعرية التي عرفها العرب، والتي يمكن أن تندرج تحت ما يعرف اليوم بالأهازيج الشعبية.

## تعريف الأهزوجة:

"الأهزوجة نشيد شعبي في لغة العامّة من الناس، ينشده القرويون في مناسبات كثيرة ومتنوعة، مثل الحروب، وعند الوفاة، والاستعراض (العراضة) والأعراس، والاستقبال والتوديع"[1].

ولعل الأهزوجة مأخوذة من (الهَزَج) وهو، كما يعرِّفه الفيروزأبادي في القاموس المحيط مادة (هـ-ز-ج): "الهَزَجُ، محرَّكَةً: من الأَغاني، وفيه ترنُّمٌ. وقد هَزِجَ كفَرِحَ: إذا تَغنَّى"[2].

والهزج فنّ قديم عرفه العرب منذ الجاهلية، ولكنهم أطلقوا عليه مسميات مختلفة. فمن ذلك ما يعرف بترقيص الأطفال، ومنه الرجز الذي كانوا يتناشدونه في الحروب، ومنه الحُداء الذي كانوا يحثون به الإبل على السير.

**الأهازيج عند العرب:**

عرف العرب منذ الجاهلية الأهازيج وردَّدوها في مناسبات مختلفة، وإن لم يطلقوا عليها هذا الاسم. ومن الأشعار التي كان العرب ينظمونها ويمكن أن تندرج تحت ما يعرف اليوم بالأهازيج الشعبية تلك الأشعار التي كان الآباء والأمهات يرددونها عند ترقيص أبنائهم، وتلك التي كان الرجال يرتجزونها في الحروب وأثناء ممارسة الأعمال، والحُداء الذي كانوا يغنونه للإبل لتسرع في المسير. وسنعرض لهذه الأنواع بشيء من التفصيل.

**أهازيج ترقيص الأطفال:**

كان الآباء والأمهات يرقصون أطفالهم، وينشدون أبياتاً تنمّ عن حبهم لأطفالهم، وأملهم في أن يروهم وقد أصبحوا كباراً، وبلغوا من المكارم والفضائل ما تقر به أعين آبائهم وأمهاتهم. ومن ذلك ما يروى أن هند بنت عتبة كانت ترقص ولدها بقولها:

لأنكحـــن ببَّـه  جاريـةً خَدبَّـه
مُكرمَةً مُحبَّـه  تُحبُّ أهل الكعبه

أي تغلبهن حسناً. والببة: الشاب الممتلئ البدن نعمة[3].

وقال أعرابي وهو يرقص ولده[4]:

أحبه حبَّ الشحيحِ مالَه***قد ذاق طعم الفقر ثم نالَه
إذا أراد بذلَه بدا لَه

وكان الزبير (رضي الله عنه) يرقص ابنته أم حكيم بقوله[5]:

ياحبـــذا أم الحكمْ***كأنهـــا ريم أحـمْ
يا بعلها ماذا يشمْ***ساهم فيها فَسَهمْ

وقد تتخذ الأم من ترقيص طفلها وسيلة لإيصال رسالة للزوج، كما فعلت زوجة أبي حمزة الضَّبي، التي هجرها زوجها لأنها وضعت أنثى، وكان يقيم عند ضرتها في البيت المجاور لها، فأخذت ترقِّص ابنتها بأبيات تعمَّدت أن يسمعها أبو حمزة، وهو في طريقه إلى البيت المجاور، فحنَّنت قلبه عليها، فأقبل نحوها معتذراً، حيث كانت تردِّد[6]:

ما لأبي حمزة لا يأتينا*** يظل في البيت الذي يلينا
غضبانَ أنْ لا نلد البنينا*** تالله ما ذلك في أيديـــنا
وإنما نأخذ ما أعطيـــنا*** ونحن كالأرض لزارعينا
نُنبتُ ما قد زرعوه فينا

**أهازيج ألعاب الأطفال:**

عرف الأطفال العرب كغيرهم من الأطفال الألعاب التي كانوا يمارسونها في صحرائهم وبيئتهم. وارتبطت ألعاب الأطفال بالشعر الذي كان ينظمه الصغار أو ينظمه لهم الكبار معبرين به عن ألعابهم. فمن ذلك ما قاله امرؤ القيس عن لعبة (الزُّحلوقة) وهي الأرجوحة[7]:

لمن زُحلوقةٌ زلٌّ *** بها العينان تنهلُّ
ينادي الآخرَ الألُّ *** ألا حَلُّوا ألا حَلُّوا

ومعنى قوله:"ألا حَلُّوا"، أي خفِّفوا من عددكم، حيث كان الصبيان يجتمعون ويأخذون خشبة يضعونها على كومة رمل، ويجلس على كل طرف جماعة منهم، فأي المجموعتين كانت أكثر ارتفع الطرف الثاني، فيقولون لهم: "ألا حَلُّوا" أي خفِّفوا من عددكم حتى نساويكم في العدد.

وهناك لعبة أخرى تسمى (الحَدَبْدَبى)، ويُكنى بها عن الرغبة في تجميع الصبيان للاستماع إلى قصة أو قصيدة شعر، أو لبدء لعبة أخرى. ومن الأشعار التي تروى عنها[8]:

حَدَبْدبى بَدَبْدَبى منك الآنْ *** استمعوا أنشدكم يا صبيانْ

**أهازيج العمل:**

كانت العرب ترتجز الشعر في مناسبات متعددة، منه ما يردَّد بشكل جماعي ومنه ما يردد بشكل فردي. من ذلك مثلاً أنهم كانوا يرتجزون الأشعار ويردِّدونها عندما يعملون عملاً جماعياً، وذلك لتنشيط هممهم، وترويح نفوسهم من عناء العمل، خاصة عندما يكون العمل شاقاً صعباً.

فمن ذلك ما روي أنّ المسلمين كانوا يردِّدون الأرجاز وهم يحفرون الخندق حول المدينة عندما علموا بقدوم الأحزاب لغزوهم. فقد روى

الإمام البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب (رضي الله عنه)، أنه قال[9]:

"لما كان يوم الأحزاب، وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم، رأيته ينقل من تراب الخندق، حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشَّعر، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل من التراب يقول:

اللاهُمَّ لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

قال: ثم يمد صوته بآخرها".

**أراجيز الحرب:**

ومن أكثر المواطن التي كانوا يرتجزون فيها الشعر عند اللقاء في الحروب. وقد تبدأ الأراجيز مع بداية نذر الحرب، إذ تستنفر العرب أحلافها للحرب بالرجز، كقول عمرو بن سالم وهو يستنفر المسلمين لنصرتهم بعد أن نقضت قريش عهدها مع النبي (صلى الله عليه وسلم)، فجاء عمرو بن سالم وأنشد الرسول قائلاً[10]:

يا ربِّ إني نـــاشدٌ محمدا حلفَ أبيه وأبينا الأتلدا
إن قريشاً نقضــوك الموعدا ونجونا ركعاً وسجـــدا
فانصر هداك الله نصراً أيِّدا وادعُ عبادَ الله يأتوا مـددا

وحين يتبارزون يرتجزون، ومن ذلك قول ربيعة بن مكدم[11]:

خل سبيل الحرة المنيعة إنك لاقٍ دونها ربيعـــــة
في كفه خطيـةٌ مطيعة أو لا فخذها طعنةً سريعة
فالطعن مني في الوغى شريعة

وكانت النساء يرددن الأهازيج يحفِّزن بها الرجال على القتال ويستثرن حميتهم، ومن ذلك قول هند بنت عتبة والنسوة يرددن من ورائها في معركة أحد[12]:

ويْهاً بني عبد الدار ويْهاً حماةَ الأدبار
ضرباً بكـــل بتَّار

وقولهن[13] :

نحن بناتُ طـــارقْ نمشي على النمارقْ
إن تقبلـوا نعانـقْ أو تدبروا نفـــارقْ
فراق غير وامـــقْ

وحين جاء الإسلام أصبحت هذه الأراجيز تُنشد لتشجيع النفس على خوض غمار القتال، وتذكيرها بما أعد الله للشهداء. فمن ذلك قول جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) في معركة مؤتة[14]:

يا حبذا الجنةُ واقترابُها طيِّبةٌ وبـاردٌ شرابُهـا

وقول زيد بن حارثة (رضي الله عنه) في نفس الغزوة وهو يتولى القيادة بعد استشهاد جعفر[15]:

أقسمتُ يا نفسُ لتنزلنَّـه
كارهـةً أو لتطـــاوعـنَّـه
ما لي أراكِ تكرهين الجنَّة

ثم قول عبد الله بن رواحة (رضي الله)، مخاطباً نفسَه حين ترددت قليلاً بعد استشهاد جعفر وزيد قبله، فأحجم قليلاً ثم أقدم، وهو يقول[16]:

يا نفسُ إلا تُقتلي تموتـي هذا حِمامُ الموتِ قد صُليتِ
وما تمنيتِ فقـد أعطيـتِ إن تفعلي فعلهمـا هُديـتِ

**أراجيز الحُداء:**

الحُداء بضم الحاء أو بكسرها (الحِداء): سوق الإبل وزجرُها[17]. وكانت العرب تغني للإبل لتستحثها على السّرعة في السير، وتسمي ذلك الحُداء، وتُسمي مغنـي الركب حادياً والجمع حُداة. وكان لكل ركب حادٍ أو مجموعة حُداة يغنون للإبل، وكانت الإبل تطرب للحُداء وتغذ السير. ومن ذلك ما روي في السيرة أنّ النبي (ﷺ) كان في سفر، وكان حادي ركب النساء غلام يسمى أنجشة، وكان ذا صوت رخيم فأخذ أنجشة هذا يحدو وينشد

فطربت الإبل وأغذَّت السير، حتى خشي النبي (ﷺ) على النساء في الهوادج أن يقعن، فخاطبه (ﷺ) قائلاً: "رويدك يا أنجشة، سوقك بالقوارير"[18].

وكان الحُداة يرتجلون الأشعار التي تناسب المقام أحياناً. ومن ذلك ما يروى أن عبد الله بن رواحة (رضي الله عنه) كان يردِّد وهو يقود ناقة الرسول (ﷺ) وهو داخل إلى مكة لأداء عمرة القضاء بعد صلح الحديبية[19]:

خلوا بني الكفارِ عن سبيلِه *** اليوم نضربْكم على تنزيلِه
ضرباً يزيل الهام عن مقيلِه *** ويذهــل الخليل عن خليلِه

وقد يصف الحادي ناقته، كقول أعرابي يصف ناقته التي أهزلها الظمأ وسير الليالي وسرعة الرحلة، حتى صارت كالقوس[20]:

كأنها وقد براها الإخماسْ ودلَجُ الليل وهادٍ قيَّاسْ
شرائجُ النبعِ براها القوَّاسْ

وقد يعبر الحادي عن شوقه إلى أحبابه الذين فارقهم، ثم يخلع هذه المشاعر على ناقته، فهي مثله في انفعالاتها، ولكنه يكتم شوقه وهي تظهره[21]:

دعِ المطايا تنسِم الجنوبا إن لهـــــا لنبأ عجيبا
حنينها وما اشتكت لغوبا يشهد أنْ قد فارقت حبيبا
مــا حملت إلا فتى كئيبا يُسرُّ ممـــا أعلنت نصيبا
لو ترك الشوقُ لنا قلوبا إذن لآثرنـــا بهـن النيبا
إن الغريبَ يُسعدُ الغريبا

**أهازيج الحج:**

كانت القبائل العربية تردَّد الأهازيج وهي قادمة للحج. وكان لكل قبيلة تلبية خاصة بها، فمن ذلك مثلاً أن قبيلة عكٍّ -وهي من قبائل اليمن- كانت إذا خرجت للحج قدَّمت في صدر الركب غلامين أسودين، ليبدآ التلبية بقولهما[22]:

نحن غرابا عك

فيرد عليهما الباقون:

عكٌ إليك عانية
عبادك اليمانية
كيما نحج ثانيـة

**أهازيج الماء:**

كان العرب يردِّدون الأهازيج وهم يوردون إبلهم للماء، فمن ذلك قول الراجز[23]:

أعددت للوِرد إذا الوِرد حفزْ غرباً جروراً وجُلالاً خُزَخِزْ
ومـــاتحاً لا ينثني إذا احتجزْ كأن جوف جلده إذا احتفـزْ
في كل عضو جرذين أو خُززْ

يذكر أنه أعدّ لإبله الآتية للشرب دلواً طويلة الحبل، وبعيراً شديداً عظيماً، وساقياً لا يتعب إذا شدّ إزاره على حجزته، قوي العضلات، كأن في عضلاته -حين تنفر- الجرذان واليرابيع.

**أغاني الأعراس:**

كانت النساء العربيات في الجاهلية يردِّدن الأهازيج، ويضربن بالدُّف أثناء زفِّ العروس إلى زوجها. وقد أقرّ الإسلام ذلك وأباحه، فقد روت عائشة (رضي الله عنها) أنها زوَّجت إحدى قراباتها من رجل أنصاري، فسألها النَّبي(ﷺ) قائلاً[24]:" فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدُّف وتغنِّي؟" فقالت عائشة: "تقول ماذا ؟ فقال النَّبي (ﷺ): تقول:

أتيناكـم أتينـاكـم فحيُّونـا نحيِّيـكـم
لولا الذهب الأحمر ما حلَّت بواديكـم
لولا الحنطة السمراء ما سمنت عذاريكـم"

**أراجيز النواح:**

كانت النساء ينُحن على القتلى بأشعار يرتجلنها على بحر الرجز، فمن ذلك قول أم سعد بن معاذ (رضي الله عنه)، حين خرجوا بنعشه فخرجت خلفه تنوح عليه وتبكيه وتذكر مآثره وصفاته[25]:

ويل أم سعد سعدا صرامـةً وحـدّا
وســـــؤدداً ومجـدا وفارسـاً مُعـدّا
سَدَّ بـــــه مَسَـدّا يقدُّ هامـاً قـدّا

**أهازيج المتسولين:**

للمتسولين أيضاً أراجيزهم التي يستدرون بها عطف المحسنين؛ فمنهم من يشرح فقره وحال أسرته، ومنهم من يمدح من يتفضل عليه، كقول أحدهم[26]:

يا ابن الكرام والداً وولدا لا تحرمنَّ سائـــــلاً تعمَّـدا
أفقره دهرٌ عليه قد عـدا من بعد ما كان قديماً سيِّدا

**الهوامش والمراجع المعتمـــــــدة**

(1) السيد حافظ الأسود، الأدب الشعبي، ضمن كتاب: التراث الشعبي، دار القلم، دبي، 1997م: 79.
(2) الفيروزأبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط2)،1987م، مادة (هجز).
(3) أحمد أبو سعد، أغاني ترقيص الأطفال عند العرب منذ الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (ط2)، 1982م: 28.
(4) المرجع نفسه: 28.
(5) المرجع نفسه: 32، 33.
(6) المرجع نفسه: 33.
(7) أنور عليان أبو سويلم ومحمد علي الشوابكة (تحقيق)، ديوان امرئ القيس وملحقاته، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، 2000م: 177.
(8) أحمد سويلم، أطفالنا في عيون الشعراء، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، د.ت: 84.
(9) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار السلام، الرياض، دار الفيحاء، دمشق، د. ت: 111/3.
(10) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998م: 341.
(11) المصدر نفسه: 341.
(12) المصدر نفسه: 311.

(13) المصدر نفسه: 311.

(14) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1998م: 150.

(15) المصدر نفسه: 152.

(16) المصدر نفسه: 154.

(17) الفيروزأبادي، المصدر السابق: مادة حدا.

(18) النسائي، سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت: 125/2.

(19) المصدر نفسه: 215/2.

(20) السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، تحقيق: د. حسين عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، 1997م: 72.

(21) المصدر نفسه: 75.

(22) حسين نصار، الشعر الشعبي العربي: 298.

(23) المرجع نفسه: 311.

(24) محمد ناصر الدين الألباني، آداب الزفاف في السنة المطهرة، المكتب الإسلامي، بيروت، 1409هـ: 45.

(25) السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة أشعار العرب: 93.

(26) السيد حافظ الأسود، الأدب الشعبي: 216.